الفصل الأول:

الإسلام دين العلم والسلام لكل العالم

لا يستطيع فهم المجتمع الإسلامي ودولته وانتصاراته وازدهار اقتصادياته من لا يعرف خصائص الدين، وفي هذا الباب زُمَر تذكر بها، نرجو أن تكون من مفاتح الطريق.

المبحث الأول:

الإسلام دين العلم

ولد الإسلام في العلم، ومنه أدلته وحججه على خصومه، وشريعته التى سادت بها الحضارة من ألف وأربعمائة عام، وستسود بها كل حضارة تتغيا رفعة شأن الإنسان، بالعلم والحرية والمساواة والعدل والتعاون بين البشر، والسلام لكل العالم.

بدأ الله تعالى وحيه بالعلم ليكون أساسا لرسالته الخاتمة الدائمة وأنزل القرآن تبيانا لكل شيء، وأرسل رسوله ﷺ مبلغا له، ووعده بالنصر على الدين كله، وهو - جل ثناؤه - أول المعلمين ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾[٣] ﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة﴾[٤].

وهو -سبحانه- القائل: ﴿شهد الله أنه لا اله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط﴾[٥].

---

(٣) سورة العلق ، الآية ٥

(٤) سورة البقرة ، الآية ٣١

(٥) سورة آل عمران ، الآية ١٨

وكان رسوله – عليه الصلاة والسلام – يقول "بعثت بالعلم"[٦] ويفتح أبواب العلم لأمته بقوله: "من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع" وقوله "قليل العلم خير من كثير العبادة" وقوله "من ظن أن العلم له غاية فقد بخسه ووضعه في غير منزلته التى وضعه الله فيها".

وبالتعليم النبوى والأسوة الحسنة صار أصحاب الرسول معلمين للأمة، وأصبحت بيوتهم معاهدها، وأبناؤها أساتذتها كالعبادلة الأربعة وكحميد بن عبد الرحمن، ومن العلماء من كانوا موالى أمهات المؤمنين..

وكان حقا للعلم الإسلامي أن يكتب الخلود له بمنهج قرآنى يحمل أعلامه ويطبق أحكامه قوم يعرفون حقيقة الخلق وقدرة الخالق، وتعمل به الحضارة في كل العصور.

في أول وحى نزل قال – تبارك وتعالى – لرسوله ﴿**اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذى علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم**﴾[٧].

---

(٦) الأحاديث الواردة في هذا الكتاب واردة بنصها أو بمعناها في كتاب جامع الأحاديث للإمام السيوطى، وهو علامة القرنين التاسع والعاشر الهجريين، وعمدة جامع الأحاديث الكتب الستة وموطأ مالك ومسند الإمام أحمد وصحيح ابن حيان ومسند الإمام الشافعى نحو ثمانين كتاباً أخرها من مصنف عبد الرزاق بن همام وابن أبى شيبة والترغيب لابن شاهين. ومسند أحمد وحده يحوى ثلاثين ألف حديث بعد حذف عشرة آلاف حديث مكرره، وفي أجزاء هذا الجامع بيانات عن الأحاديث الموضوعة.

(٧) سورة العلق ، ١ – ٥ وهى آيات خمسة تذكر الإنسان والعلم مرتين والقلم مرة ويجئ بعدها أخرى بأول قسم ﴿نون والقلم وما يسطرون﴾ لتدل أعظم دلالة باجتماعها على أنها تتآخى "حضارة إنسانية" ليكون الإنسان قادراً على التقدم وجديراً بخلافة الله في الأرض.

والقراءة باسم الله الذى خلق الأكوان وعلم الإنسان تقديس له سبحانه، وإقرار بتوحيده وبسائر صفاته، والاحتجاج لها بالعلم استناد إلى الحجة المؤكدة ثم زادها توكيداً أول قسم في القرآن، وهو قسم بالقلم وبما يسطره، يشير إلى أن العلم أساس هذا الدين.

واستعمال العقل في أول وحى إشارة واضحة إلى أن الإسلام قائم على الحجة، يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وبالاستقراء والاستنباط لتتأدى العقول بالعلل إلى المعلول.

وفي علوم القرآن والسنة واللغة العربية نُتج كبار العلماء وصارت أصول الفقه أصولاً للفكر الإسلامي كله ابتداء من الفقهاء في الجيل الأول حتى اليوم ومروراً بالجيولوجيين والفلكيين والأطباء والمهندسين والكيميائيين والصيادلة والرياضيين في سائر الأجيال. وبالرياضيات العربية اتسعت العمليات الحسابية لكل الأرقام، ولو بقى العالم على الأرقام اللاتينية لعجز عن العمليات الكبرى مثل حسابات الفلك، وبعلوم الضوء فتح العلم العربى الطريق لجاليليو وكوبرنيق وكبلر وعلماء الكون جميعاً.

وليس غريبا أن نجد عبارات للشافعى (٢٠٤هـ) من كتاب الرسالة أو كلمات للغزالى (٥٠٥هـ - ١١١١م) وهو أصولى شافعى المذهب نجدها بذاتها عبارات لديكارت (١٦٥٠م) ونجد نظرية الأصنام الأربعة التى أجمل فيها فرنسيس بيكون (١٦٢٥) طريقته كاملة في كتابه (المنطق الجديد) كمثل ما نجد نظرية الشك عند ديكارت وانتقل المنهج الإسلامي بترجمة كتب المسلمين في القرون الخمسة السابقة على حياة هذين العالمين واشتغلت بترجماتها بضع عشرة جامعة أوربية، تعلمت فيها أوربة مناهج المسلمين،

وهى تسميها الآن علم التجربة[٨].

يقول المستشرق نيكلسون عن القرون السبعة الأولى من التاريخ الإسلامي:

(وكان لا نبساط رقعة الدولة العباسية ووفرة ثروتها ورواج تجارتها أثر كبير في خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل، حتى لقد يرى الناس جميعا من الخليفة إلى أقل أفراد العامة شأناً طلاباً للعلم، أو على الأقل أنصاراً للأدب، وفي عهد الدولة العباسية – القرون الخمسة حتى السابع الهجرى – كان الناس يجوبون ثلاث قارات سعياً وراء العلم والعرفان، ليعودوا إلى بلادهم كالنحل يحملون الشهد إلى جموع التلاميذ المثقفين ثم يصنفون بفضل ما بذلوه من جهد متصل هذه المصنفات التى هى أشبه بدوائر المعارف، والتى لها أكبر الفضل في إيصال علوم المدنية إلينا بصورة غير متوقعة).

ويقول روجير بيكون – وقد عاش القرن الميلادى الثالث عشر حتى التسعينات منه، ما يعتبر شهادة عصر بكامله:

(إن وجود الفكر الأوربى والعلم الأوربى كان مستحيلاً لولا وجود المعارف العربية، لقد دعيت أوربة إلى الحياة بعد أن ظلت في ظلمات الجهل خمسة قرون، وهى مدينة للمعارف العربية بكل تقدمها).

بل يقول الملك الإنجليزى الذى كان يحكم نصف أوربة في القرن الحادى عشر عن حضارة الإسلام في الأندلس وعلومها:

(من جورج الثانى ملك إنجلترا والغال (فرنسا) والنرويج
إلى الخليفة هشام الثالث[٩]:
بعد التعظيم والتوقير.

---

(٨) القرآن والمنهج العلمى المعاصر للمؤلف، الباب الرابع طبعة دار المعارف

(٩) حكم من ٤١٨هـ إلى ٤٢٢ (أوائل القرن الحادى عشر الميلادى)

سمعنا عن الرقى العظيم الذى تتمتع بفيضه الصافى معاهد العلم في بلادكم العامرة، فأردنا اقتباس هذه الفضائل لنشر العلم في بلادنا، التى يحيطها الجهل من أركانها الأربعة، وقد وضعنا ابنة شقيقنا الأمير دوبانت على رأس بعثة من بنات الأشراف الإنجليز..

من خادمكم المطيع جورج)[١٠]

وظلت كتب الرازى وابن سينا تدرس في جامعات أوربة حتى القرن السابع عشر للميلاد، وصورتاهما معلقتان في كلية الطب بباريس...

ولم يستطع التعصب الأوربى أو الفتك الصليبى أن يطمس الحقائق، حتى إذا خفت شدائد الاستعمار في القرن الحالى قرأنا قول برنارد لويس وهو مستشرق عنيد: إن أوربا في القرون الوسطى تحمل ديناً مزدوجاً للعرب، فهم الوسيلة التى انتقل بها إلى أوربا من العرب طريقة جديدة للبحث وضعت العقل فوق السلطة، ونادت بوجوب البحث المستقل والتجربة، وكان لهذين الفضل الكبير في القضاء على العصور الوسطى والإيذان بعصر النهضة.

(١٠) كتاب العرب عنصر السيادة في القرون الوسطى وأورد المؤرخ التركى عبد الرحمن شرف الدين في كتابه التاريخ العام ما صاحب الخطاب من هدايا الملك إلى هشام الثالث.

المبحث الثانى:

أسماء بعض العلماء من غير رجال الفقه وأصول الدين واللغة وقد بلغ بهم التشريع الإسلامي وفقهه أعلى ذروة:

١- **جابر بن حيان** (١٦١هـ / ٧٧٨م) واضع أسس علم التجربة بتجاربه الكيميائية، والتاريخ يبايعه بأنه أول كيميائى، وفيه قول أكبر أطباء العصور الوسطى الرازى: أستاذنا جابر بن حيان.

٢- **الخوارزمى** (٢٢٥هـ / ٨٥٥م) صاحب كتاب (الجبر والمقابلة) وقد نقل فيلاردى سنة ١٢٢٠ كتاباً له في الحساب سماه (كارمن دى الجورزمى) وترجم كتاب الجبر والمقابلة بوشستر، ولفظ (لوغاريتم) تحريف للخوارزمى. وعن الخوارزمى عرفت أوربة الأرقام العددية وعلامة الصفر، وقد ظهرت في النقوش في إيطاليا فالنمسا فإنجلترا وأسكتلندا، وكان البابا – سلفستروس (١٠٩٨ – ١٠٠٣) ممن عاونوا في ذلك، وهو من تلاميذ قرطبة.

٣- **الكِندى:** (١٧٥ – ٢٥٢هـ/٨٠١-٨٧٨م) له تجارب في الجاذبية الأرضية، ومؤلفات في المرئيات ونشأة الكواكب وتأثيرها على الأرض، وفي مؤلفاته كتب أن "كل ما في الفلك كروى الشكل" – وكتبه في أوربة منذ القرن الثانى عشر.

يقول عنه كاردانو (١٥٧٦): هو واحد من ١٢ عبقرياً ظهروا في العالم. وروجير بيكون يضعه وابن الهيثم في الصف الأول مع بطليموس.

٤- **الرازى الطبيب:** (٢٤٠-٣٢٠هـ/ ٨٦٤-٩٢٥م) يسميه الفرنجة جالينوس العرب والرازى أستاذ التجريب في الطب، تُرجمت كتبه مبكراً لتبقى أسساً للطب ومرجعاً مأخوذاً به، اهتم بالتشريح، واتخذ البطاقة السريرية أساساً للعلاج في مستشفى الدولة، وهو أول من أجرى التجارب على

القردة، وأول من استعمل أمعاء الحيوان لخياطة الجروح، وأول من جعل الغذاء للمريض واجباً لمقاومة المرض حتى لا يحرم المرضى قوة المقاومة؛ ومن أصوله: ما اجتمع عليه الأطباء وعضدته التجربة فليكن إمامك.

٥- **المسعودى:** (٣٤٩هـ/٩٥٦م) فلكى جيولوجى جغرافى مؤرخ أول من أثبت علاقة البيئة بالإنسان، وابن خلدون يسميه إمام المؤرخين، وقد تأثر به.

٦- **الحسن بن الهيثم:** (٤٣٠هـ) بايع له العالم منذ القرن الثانى عشر الميلادى على أنه مكتشف علوم الضوء، وفي القرن السادس عشر ظهر علمه في كشوف الفلك، ألف في الرياضيات ٤٧ مؤلفاً و٨ في الهندسة.

٧- **ابن سينا:** (٣٧٥-٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م) فيلسوف. طبيب. جيولوجى. فقيه، ظلت كتبه الطبية تدرس حتى القرن السابع عشر في جامعات أوربة مع كتب الرازى ومنها كتابه القانون في الطب.

٨- **البيرونى:** (٤٤٠هـ/١٠٤٨م) فلكى. رياضى. كيميائى. طبيعى. موسوعى، "أعلن أن الأرض متحركة حركة الرحى على محورها" وأن "الخلاء في باطن الأرض يمسك الناس حواليها" له كشوف في مقياس محيط الأرض، وفيه قول المستشرق الأمريكى أريوبوب: في أي قائمة تحوى اسماء العلماء يجب أن يكون لاسم البيرونى مكانه الرفيع .. لمساهمته الرفيعة في جميع العلوم.

٩- **الزهراوى:** (٣٢٦هـ/١٠١٣م) طبيب جراح، اشتهرت عملياته ونقلتها المستشفيات الإسلامية في الشرق والغرب.

١٠- **ابن البيطار:** (٦٢٦هـ) له كتب في الأدوية والأغذية ما تزال مراجع العلم الحديث، ترجمت إلى الفرنسية ١٨٨٣ في باريس.

١١- **النيفاشي:** (٦٥١هـ/١٣٢٥م) له تجارب تدرس في الجيولوجيا وله تصنيف للمعادن مأخوذ به للأن.

١٢- **البغدادي:** (٦٤٩هـ) طبيب فقيه، صاحب تجارب خطأ بها جالينوس وأهل الطب من بعده، وأظهرت تجاربه في العقاقير القديمة أخطاء السابقين.

١٣- **ابن النفيس:** (٦٧٨هـ/١٢٩١م) فقيه فيلسوف طبيب، تخرج من الأزهر ودرس في مدارسه فقه الشافعي، كما وضع السيرة الكاملية في السيرة النبوية، ومارس التشريح، وقال عن تجاربه الطبية. إنا نعتمد في تعرف حدود الأعضاء الباطنية على كلام من تقدمنا من المباشرين لهذا الأمر خاصة الفاضل جالينوس.. أما منافع كل واحد من الأعضاء فإنا نعتمد على ما يقتضيه النظر المحقق والبحث المستقيم، وافق ذلك من تقدمنا أو خالفه.

وقد أدت أبحاثه في (القلب) إلى اكتشاف الدورة الدموية.

وترجمت كتبه إلى اللاتينية وظهرت في إيطاليا ١٥٤٧ وظهرت بعد نشرها مؤلفات ثلاثة سنة ١٥٥٣ وسنة ١٥٣٩ وسنة ١٥٧٩ وتداولتها الجامعات وكانت تنشرها جامعة بادوا حيث كان الطبيب الإنجليزى هارفى يتلقى دراسته، فلما عاد إلى إنجلترا أجرى تجاربه على خيول الملك، وأعلن الإنجليز أنه كشف الدورة الدموية سنة ١٦١٩.

١٤- **الجاحظ:** (٢٥٥هـ/٨٦٨م) أديب، عالم، فيلسوف، جعل التجريب علما وأجرى فيه تجاربه، وشهد للإمام الشافعي حيث يقول فيه: "نظرت في كتب هؤلاء النبغة الذين نبغوا في العلم فلم أر أحسن تأليفاً من الفتى المطلبى، كأن لسانه ينظم الدر"، وأصول القياس كما فصلتها رسالة الشافعي عن أصول الاجتهاد تعلن عدم اطمئنان من يجرى القياس إلى

نتائجه إلا بعد تحقيق متكامل لاستبعاد كل الشكوك.

والجاحظ يقول عن الشك: "تعلم الشك في المشكوك فيه تعلما. فلو لم يكن في ذلك إلا تعرف التوقف ثم التثبت، لقد كان ذلك مما يحتاج إليه".

وله قول معروف: "أن مخالف ملة الإسلام من اليهود والنصارى، والدهرية إن كان معاندا فهو آثم، وإن نظر فعجز عن درك الحق فهو معذور غير آثم، وإن لم ينظر من حيث لم يعرف وجوب النظر فهو أيضا معذور، وإنما الآثم المعذب هو المعاند فقط، لأن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها، وقد عجزوا عن درك الحق ولزموا عقائدهم خوفاً من الله تعالى إذ استد عليهم طريق المعرفة"، وقد ناقش الغزالى هذا القول في مؤلفين له.

١٥- **الغزالي:** (٥٠٥هـ/١١١١م) فقيه أصولى شافعى، له كتاب المستصفى فى أصول الفقه، وله كتبه المتداولة الآن في التصوف والأخلاق وإحياء علوم الدين.

ومن أصوله ما جاء في كتابه عن أغاليط النظار حيث قال: "وكثرة أغاليط النظار من التصديق بالمألوفات والمسموعات في الصبا من الأب والأستاذ وأهل البلد المشهورين بالفضل"، وسينقلها فرنسيس بيكون ويعبر عنها بأصنام الفكر الأربعة وفيها فساد اللغة.

ومن أصوله: أن "من لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقى في العمى والضلال، لأن الشكوك موصلة للحق" وأن "الحقيقة نور يقذفه الله تعالى في الصدور، وهو مفتاح أكثر المعارف"، ومن عباراته ما نجده عند "ديكارت".

وكانت بعض أفكار الغزالى هدفاً لابن رشد يصيبه بردوده، وقد تدخل في هذه المعركة توماس الأكوينى فنقل فصولاً من ردود ابن رشد،

وكان توماس الأكويني على ثقافة عربية من صلات عائلته بالمسلمين. وما تزال أفكار الغزالي محلا للتقدير عند أهل أوربة وإن غلب ابن رشد.

١٦- **وابن رشد:** (٥٢٠ - ٥٩٥هـ/١١٢٦ - ١١٩٨م) قاضٍ - فقيه، فيلسوف، طبيب، ما يزال فقهه عمدة القضاء بكتابه "بداية المجتهد ونهاية المقتصد"، وهو يشتهر في أوربة بأنه شارح أرسطو وبتمجيد العقل، وكان تحرره الفكري من أسباب نهضة الفكر الأوربي على رغم الكنيسة التي حرمت كتبه، ثم خضعت للرأي العام بعد قرن، وهو يرى العلم طريقاً مؤكداً لإثبات الربوبية، ومن يشتغل بالتشريح يزداد إيماناً بالله تعالى، وأن ثمرات العقل ملك لكل البشر، وأن الحاكم الظالم يحكم الرعية لمصلحته لا لمصلحتها، وأن أفظع الظلم ظلم القساوسة، وأن المرأة مظلومة بعدم خروجها للعمل، وأنها تمثل ثلثي سكان المدن، فتعطيلها سبب شقاوة المدن.

١٧- **وابن خلدون:** (٧٣٢ - ٨٠٨هـ/١٣٢٢ - ١٤٠٦م) قاضٍ. وفقيه، ووزير، كشف بكتاب (ديوان العبر) للعالم علوم الاجتماع وما يتفرع عليها من حقائق التاريخ، وله في السياسة والاقتصاد مذاهب تقوم على الحرية والتزام الشريعة.

المبحث الثالث:

القرآن والإعجاز العلمي في هذا القرن

بدأ في أوائل القرن الحالي كبير الأطباء المصريين عبد العزيز إسماعيل باشا دراساته الطبية، ومن بعده جاء الدكتور الغمراوي وقد تخصص في علوم الطبيعة والصيدلة، ففتح الطريق لفهم آيات القرآن في العلوم الطبيعية

الصريحة، وجرى على غرارهما - في علم الفلك بمصر - الدكتور/ محمد جمال الدين الفندى. كما سجل العلم للطبيب الفرنسى بوكاى مشاركة كبيرة في هذا الشان وتتابعت عناية الأمم بالأمر إذ ترجمت كتابات بوكاى إلى اللغات الحديثة.

وما زال يضاف إليها كشوف عن الإعجاز الطبى أو الفلكى أو الجيولوجى أو الكيماوى أو الطبيعى تزخر بها الآيات الكريمة في أمهات المسائل العلمية كخلق الأكوان، وخلق الإنسان وقوانين الزوجية في الإنسان والنبات والحيوان، وفي كل شيء من الذرة إلى المجرة، وقوانين الجاذبية أو القوانين الفلكية ووجود الماء في كل شيء حى. وغير ذلك من المكتشفات الحديثة، وحفل النصف الأخير من القرن الحالى بالمؤتمرات العالمية والإسلامية الطبية أو العلمية بكشوف عن المسلمات العلمية الواردة بالقرآن الكريم.

وإليك أمثالاً من أعمال الأساتذة الذين سبقت الإشارة إليهم:

أولاً: الطبيب عبد العزيز إسماعيل باشا الأستاذ بكلية الطب جامعة القاهرة:

قدم لمؤلفه (الإسلام والطب الحديث) شيخ الإسلام الشيخ محمد مصطفى المراغى في الثلاثينات راجياً (أن يحتذى أصحاب النبوغ في فروع العلم شاكلته، كل فيما تخصص فيه لفائدة النابته الحديثة التى نود أن تجد في كتاب الله ما يؤثر على عقليتها من أخص ما تشتغل به في دراستها، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً).

حدد المؤلف منهجه في تقديمه لكتابه بقوله (القرآن ليس بكتاب طب أو هندسة أو غير ذلك، ولكنه يشير أحيانا إلى "سنن طبيعية" ترجع إلى هذه العلوم .. فقوله تعالى ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ لا يمكن أن يكون الأولون قد فهموها إلا عن طريق التأويل

المؤدى إلى خضوع كل شيء لعظمة الله، حتى الجماد، مع أن علماء الطبيعة يثبتون الأن حركة دائمة لا تنقطع في ذرات كل شيء تراه العين، ولا تحس به سائر المشاعر.

وقوله – تعالى – ﴿خلق الإنسان من علق﴾[11] شبه الحيوان المنوى بالعلق، مع أنه لا يرى إلا بالميكروسكوب، والعبرة من هذه الأية لم تظهر وقت نزولها ولا بعده بمئات السنين حتى اكتُشف الميكروسكوب ولا يفهم معناها الحقيقى إلا من درس العلوم الحديثة يظهر له إعجاز القرآن بطريقة أقرب إلى إقناعه من الفصاحة، لأنه عالم ببعض العلوم، وجاهل بالفصاحة.

ثم تصدى لأربع وثلاثين كلية من الكليات العلمية أولها (الحياة تحت ضوء القرآن)، مبيناً (أن كل شيء حى يهلك من الجفاف، ويحيا بالماء، وأن أفضلية المواد المشار إليها هى في نوع المواد الزلالية وكميتها)، وأن هذا (قد ظهر من أبحاث لجنة الأبحاث الملكية بإنجلترا في التقرير الثالث سنة ١٩٣٣م والأخيرة...)

وتحت عنوان (أسرار الصيام الطبية) قال: (للصيام فوائد في ثلاث جهات، أولها وأهمها الجهة الروحية وهذه اتركها لعلماء الدين.. وثانيتها: الجهة الأخلاقية وهذه أتركها لعلماء الأخلاق. وثالثتها وأقلها أهمية: الجهة المادية أو الصحية وهذه محل بحثنا.. فللعلاج يستعمل في ..) وبعد الحديث عن صنوف سبعة من الأمراض يقول: (وهذه الأمراض تنتشر بزيادة الحضارة والترف، وفي مصر يكاد يكون البول السكرى، وزيادة ضغط الدم مقتصرين على الطبقات الوسطى والعليا وقليل جدا من الفقراء، ويغلب على

---

(١١) العلقة: اسم من فعل (العلوق) بالبويضة، وهو أول ما تسعى إليه بدأب نطفة الذكر في رحم الأنثى، وستقرأ تفصيلاً عن خلق الإنسان في (علم الأجنة) في ضوء مكتشفات النصف الثانى من القرن العشرين للميلاد

الظن أن ذلك هو السر في أن الصيام في الإسلام أشد منه في الأديان السابقة، لأن الإسلام.. جاء في زمن نحتاج فيه إلى وقاية من أمراض تـزداد كلما زاد الترف..)

وتحت عنوان (الخمر وأضرارها) يخص الكلام بالبحث الطبى لا الاقتصادى أو الخلقى.

ويقول في مدة الرضاعة (إنها يجب أن تكون فوق السنة، ويستحسن أن تكون سنتين كاملتين كالنص في الآية: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ وهى حقيقة يجمع عليها الأطباء الآن.

وتحت عنوان (النوم وضروته للحياة) يشرح الآية ٢٥٥ من سورة البقرة ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾.

وتحت عنوان (إضرار الربا) الآية ٢٧٨ من السورة يتكلم أيضاً عن الأضرار الطبية تاركاً ما عداها لعلماء التشريع والاقتصاد.

ثم يشرح قوله – تعالى –: ﴿تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحى من الميت وتخر ج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب﴾ فينبئنا أن التفسير الحقيقى هو إخراج الحى من الميت كما يحصل يوميا من أن الحى ينمو بأكل أشياء ميته، فالصغير مثلاً يكبر جسمه بتغذية اللبن أو غيره.

وإما إخراج الميت من الحى فهو الإفرازات، مثل اللبن.

وتحت عنوان (حكمة الوضوء وفوائده الطبية) يقول شرحاً للآية ٦ من سورة المائدة: (إنها استجماع للقوى العقلية يهئ النفس للخشوع – كالاستراحة بين محاضرتين – وفوائدها كثيرة من النظافة المتجددة ومقاومة الطفيليات..)

وفي شرح الآية ١٤٣ من سورة الأعراف: ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن

استقر مكانه فسوف ترانى...﴾.

قال: إن الإنسان تنقصه الحواس التى يرى بها الله - جل وعلا - ولذلك أمر الله - تعالى - سيدنا موسى بأن يرى تأثير القدرة الإلهية في دك الجبل.

وفي تفسير قوله - تعالى - في سورة الأنفال ٦٣: ﴿وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم..﴾ يقول: (قد تكون الكراهة والألفة من "العواطف" الحيوانية المنفعلة التى تنتج من أسباب ظاهرية تتكرر فتحدث تغييرات عضوية في أعضاء الجسم - وخصوصاً المخ والغدد الصماء، وتحدث هذه التغييرات - مع التكرار - أمراضاً عضوية.. ومهما جاهد الشخص في أن يغير من عاطفته لا يفلح..).

وتحت عنوان (التفكير وخلايا المخ) يقول في شرح سورة هود، الآية ٥ ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ هذه الآية سهلة الفهم بعد ما تقدمت علوم النفس والتنويم المغناطيسى وغيرها، وظهر جليا أن كل فكرة يقابلها تغيير مخى في الخلايا المخية .. وقد اكتشفت أخيراً أجهزة كهربائية يمكن بها معرفة حالة بعض الخلايا المخية..).

وتكلم عن (القرآن ولقاح الأزهار والنبات) في الآية ٢٢ من سورة الحجر ﴿وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماءً فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾. والقرآن يتكلم عن فائدة من فوائد الهواء الذى ينقل نطفة الذكر إلى الأنثى قبل أن يتقدم علم تشريح النبات بقرون طويلة.

كما يتكلم عن (العسل في القرآن والطب الحديث) في قوله - تعالى - ﴿ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب

مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ (سورة النحل الآية ٦٩).. فبين أن الجلوكوز نسبته في العسل أكثر من أي غذاء آخر، وهو سلاح للطبيب (في أغلب الأمراض) واستعماله في ازدياد مستمر يتقدم الطب، وهو يعطى للمريض بشتى الطرق وفي أمراض كثيرة متباينة، وللتقوية، وضد التسمم من كل المصادر، وللتسمم البولي والكبدى والمعدى، والحميات بأنواعها، وحالات ضعف القلب، والذبحة والارتشاحات وفي احتقان المخ وأدرانه في حين لا يستعمل الغذاء علاجاً إلا فيما ندر من أمراض نفص الغذاء، والفواكه سكرها ليس من سكر العسل ونسبة سكرها ضئيلة وسكر العسل يستعمل مع الأنسولين أحياناً. ودوائر الشفاء بعسل النحل تتزايد باستمرار.

وتحت عنوان (القرآن وبدء الخلق والحياة والموت) بدأ بالآية ٥ من سورة الحج وأعقبها بغيرها من الآيات نيفت على الثلاثين، وقال: (إن فيها جواباً عن الأسئلة الأربعة "بدء الخلق"، "وتطورات الجنين"، "وحياة الإنسان على الأرض"، "وبعد الموت"، "والنشأة الثانية".

ثانياً: الدكتور محمد أحمد الغمراوى (يونيو ١٨٩٣/ مايو ١٩٧١م)

لم يكد يتخرج من مدرسة المعلمين العليا سنة ١٩١٤م حتى شارك في لجنة الترجمة والنشر أحمد أمين ومحمد خلاف وأحمد حسن الزيات وأحمد زكى باشا (مدير الجامعة).

رجع من بعثة العلوم والصيدلة ثم صار أستاذا في كلية الصيدلة بالجامعة، ثم ألقى دروسه القرآنية في "كلية أصول الدين بالأزهر" ونشر بحوثه في الصحف، وفي مجموعة مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر سنة ١٩٧٠م، وبعد وفاته جمع زميله في البعثة د. أحمد عبد السلام الكردانى وكيل وزارة المعارف مقالاته في كتاب سماه (الإسلام في عصر العلم) ثم قدم

الكتاب للقراء الإمام الأكبر الشيخ/ عبد الحليم محمود، وشارك في التقديم الدكتور/ عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء.

وروى الدكتور الكردانى قول شيخ الأزهر له في الثلاثينات من القرن: (لولا أن لائحة الأزهر لا تسمح بمنح إجازة العالمية لغير الخريجين لمنحناك الإجازة الفخرية).

وفي عام ١٩٦٠ دعى إلى السعودية ليؤسس كلية الصيدلة بجامعة الرياض، فأسسها وتولى التدريس فيها وعمادتها لمدة ثلاث سنوات.

وعهد الأزهر إليه بالتدريس في كلية أصول الدين، في عهديها القديم والحديث، وفي السنوات الأخيرة كان يدرس لطلبة الدراسات العليا بالكلية ذاتها.

ثم طبعت له لجنة التأليف والترجمة والنشر بعض المحاضرات في سنن الله الكونية في تفسير الآيات الكونية ومقارنتها بأحدث الحقائق العلمية، قاصدا بيان أمور منها

١- موافقة أحدث الحقائق العلمية للقرآن.

٢- التنبؤ في كثير من الآيات بما ظهر من "حقائق" علمية.

٣- إن القرآن يخاطب الناس على قدر عقولهم دون مخالفة للحقائق العلمية حتى إذا قيض الله لبعضٍ أن يفهموا "حقائق" حديثة وجدوها صريحة في القرآن ذاته.

وحفلت مجلة الأزهر من قديم بأبحاثه، ومنها سلاسل تحت عنوان (دلالة القرآن على نفسه أنه من عند الله) (والسماء في القرآن وفي العلم) و(الجبال في القرآن) ودونت للطلبة في كراستين، واحدة بعنوان "إسلاميات" والأخرى بعنوان (سنن كونية).

أضاف الدكتور الكردانى أنه أرسل بعض ما جاء بهذا المجهود إلى

صديق له بأمريكا، قائلاً: (لقد أعزنى الله فوفقنى إلى اختيار نماذج من الآيات المتضمنة طرفاً من الإعجاز العلمى للقرآن، وترجمتها إلى "الأنجليزية" وأهديتها للسيد صلاح الضرير مدير المركز الإسلامي بمدينة برمنجهام بولاية ألاباما الأمريكية، فطبعها ونشرها هنالك).

يقول الدكتور الغمراوى في كتاب (الإسلام في عصر العلم) صفحة ١٦١:

(فلو قدر للإنسانية أن تفحص الأديان بعقلية علمية لما وجدت غير الإسلام دينا يثبت للفحص العلمى، إذ ليس غير الإسلام دين بقيت معجزته إلى اليوم، وتبقى إلى ما شاء الله، لتكون موضوع بحث وامتحان وفحص...)

ويقول في صفحة ١٦٨: (فتعدد نواحى الإعجاز في القرآن معجزة، بل كثيرا ما يكون بعض الآية معجزاً...).

ويستطرد في وجوه إعجاز بالعشرات تتفرع عليها أمثالها، ونقف قليلاً عند وجه "عظمة القرآن مهيمنا على الكتب قبله"، حيث يذكر قوله تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه﴾[١٢].

ويقول في صفحة ١٨١: (وأمثلة هيمنة القرآن على التوراة كثيرة، خصوصاً في سفر التكوين[١٣]، ففيه أمور كثيرة يصححها القرآن، منها أن حواء هى التى حملت آدم على الأكل من الشجرة، وأن الذى وسوس لحواء وحملها على الأكل من الشجرة قبل آدم هى الحية.. ولكن القرآن لا يذكر

---

(١٢) سورة المائدة ، الآية ٤٨.

(١٣) أول أسفار التوراة وهو في نيف وثمانين صفحة، وخمسين إصحاحا، وسنعرض لبعض ذلك منقولاً من الكتاب الأشهر للدكتور/ بوكاى

الحية، ولا يحمل حواء وزر البدء بالأكل من الشجرة خلافاً لما أمر الله، بل مفهوم آية سورة طه أن آدم هو الذى اقتنع أولاً بالأكل طلباً للخلود بإغواء الشيطان وتزيينه، وأن زوجه – ولم تذكر باسمها قط في القرآن – فهى على أسوا تقدير أكلت معه إن لم تكن أكلت بعده.. (سورة طه ١٢٠) والشيطان وسوس إلى زوج آدم ايضاً (سورة طه ١٢١، ١٢٢) لكن ليس في القرآن الكريم آية تخص زوج آدم بالوسوسة أو تنسب الوسوسة والإغراء بالشجرة إلى غير الشيطان فالقرآن في هذا المثل مهيمن على التوراة ومصحح لما جاء في سفر التكوين، ومنقذ للمرأة مما نسب إليها).

واستطرد لتصحيحات أخرى خطيرة خطر اتهام حواء[١٤].

وسنكتفى الأن بعجالة وجيزة مما أفاض فيه المؤلف، نختار منها ما ورد في الكتاب الرابع "من كتب" هذا المؤلف، بعنوان (من الإعجاز العلمى للقرآن)، وهذا الكتاب وحده في مائتى صفحة يبدأ من ص ٢٥٥ وينتهى ص ٤٥١ وفيه وحده فصول خمسة تكفينا هنا لإدراك ما في سائر الكتاب:

الأول: (القرآن والعلم) والثانى: (في تفسير الآيات الكونية في القرآن) والثالث: (الجبال في القرآن) والرابع: (السماء في القرآن) والخامس: (الظواهر الجوية في القرآن) والسادس: (مخترعات العلم والقرآن).

في الفصل الأول يقول:

إن الإعجاز هو (تجديد للرسالة الإسلامية، كأنما رسول الإسلام قائم في كل عصر يدعو الناس إلى دين الله ويريهم دليلاً على صدقه.. يعجز الإلحاد

---

(١٤) انظر كيف ترتب على هذا الخطا على مدى عشرين قرناً عند أصحاب الديانات غير الإسلام، كره المرأة إلى نفسها وإلى الخلق وتدنيسها، حتى جاء الإسلام ليعوضها عما سلف عليها من ظلم، فيرفع الإصر عنها ويسويها بالرجل ويحيطها بمزايا خاصة وبمعاملة يضرب المثل بها في الاحترام والإنصاف. والمرأة نصف الناس.

عن التشكيك فيه إلا أن يتبرأ من العقل، فإن الحقيقة العلمية التى لم تعرفها الإنسانية إلا في القرن التاسع عشر والعشرين مثلاً والتى ذكرها القرآن لابد أن تقوم عند كل ذى عقل دليلا محسوسا على أن خالق هذه الحقيقة هو منزل القرآن..).

ويقول: (ينبغى ألا نفسر كونيات القرآن إلا باليقين الثابت من العلم.. إن الحقائق هى سبيل التفسير الحق، هى كلمات الله الكونية، أي: قوانينه، يجب أن تفسر بها نظائرها من كلمات الله القرآنية).

يبدأ المؤلف بما بدأ به المصحف الشريف ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ ويقول (والجديد هنا أنه أيد وجود عوالم أخرى بما أشار إليه (فصل الحياة في العوالم الأخرى) للفلكى الإنجليزى (جونز) وأضاف عن معجزات خلق السموات والأرض: أول ما يطالعنا آيات في سورة فصلت تتعلق بالموضوع (الآيات من ٩ - ١٢) عن خلق الكون: ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة ايام سواء للسائلين، ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم﴾ وأتبعها بالآية ١٢ من سورة الطلاق ﴿الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن..﴾ وأتبعها بالآية ٣٠ من سورة الأنبياء ﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما﴾ وانتهى في هذا البيان إلى وجود حقائق هى معجزات بقينية يستيقنها العلم الآن. منها:

١- تعدد العوالم فلكيا.

٢- دخانية السماء في البدء. ٣- انفصال الأرض عن السماء.

ولو عاش المؤلف بضع سنوات لرأى الإنسان ينفذ إلى السماء، وينزل على أرض القمر، ويعود بقطع من أرضه يجرى تحليلها فيظهر أن مادتها كمادة الأرض.

وأورد المؤلف بيان المعجزات عن دوران الشمس والقمر تحت عنوان (القرآن والعلم) الآية ٣٨ من سورة يس: ﴿والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾ وذكر أنها تجرى فعلاً بسرعة ١٢ ميلاً في الثانية في اتجاه مخصوص كما ثبت علمياً في العصور الأخيرة[١٥] وعلى هذا النحو

---

(١٥) نزلت سورة يس بمكة، والإسلام في أول عهده والمسلمون قلة، وعنها يقول رسول الله - ﷺ - كما يروى صاحبه أنس بن مالك "إن لكل شيء قلباً، وقلب القرآن سورة يس" ومن مأثور القول: إن من قرأها يبتغى بها وجه الله - ﷻ - غفر الله له كأنما قرأ القرآن اثنتى عشرة مرة..

والقرآن يظهر في كل يوم معارف غضة حسبما يهدى الله بعلمه قارئه أو سامعه، ومنها الاجتماعى حيث الفضائل مسيطرة، فإن قلت أو ندرت تأخر المجتمع، ومنها العلمى، والعلم رافد ضخم من روافد التقدم ومن ذلك يفاجئ الكتاب الكريم عصور التقدم العلمى بماء شاء الله - تعالى - أن يظهر عليه البشرية من علوم لا تقدر على إدراكها إلا إذا بلغت درجة خاصة، ومنها الزوجية في الأشياء ودوران الفلك والجاذبية الكونية، ويظهر لنا الآن في العلوم حيث المخلوقات التى نشأت بها عوالم النجوم والكواكب، ومنها الشمس والقمر، وقد تقدمت علوم الفلك باكتشافات كوبرنيق وكيلز وجاليليو من قرون ثلاثة حتى استقرت على حقائق سبقت بتأكيدها آيات القرآن..

ومن أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن بدأ العالم مرحلة كشف (حول الإنسان وخلقه)، وظهر لهم أن خصائص خلق الإنسان قد صرحت بها آيات القرآن بالعشرات، وفصلتها في أصلاب الرجال والنساء إلى الزواج والحمل والولادة، وبهذا عرف البشر السند الإلهى لخلق السموات والأرض وما بينهما، ونشاط النجوم والكواكب في=

يستمر سائر الكتاب.

يقول الدكتور الغمراوى في الفصل الأول من الكتاب الرابع – وهو فصل يقع في مائة صفحة –: (والواقع أن موضوع إعجاز القرآن لا يزال بكرا برغم ما كتب فيه) جاء علم الفلك الحديث فبين أن المجموعة الشمسية التى نحن فيها ليست في عالم المجرات شيئا مذكوراً، فثمة عوالم من مجرات أخرى تعد بالملايين.

وتكلم عن خلق السموات والأرض، فهذه سموات وأرضون وبنيان بعد بنيان، وفي سورة يس آيات كل منها تخص حركة نجم كالشمس أو كوكب كالقمر أو الأرض لها دورة حول الشمس بالقمر، ومثلا آخر من مواقع النجوم، وآخر من إدبار الليل.

=الأفلاك والإنسان والنبات والحيوان والجمادات... وفي سورة يس ٨٣ آية منها ٨ آيات متتابعة تحوى أعظم الأسرار لأعظم الأجرام المعلومة لنا من الآية ٣٣ إلى الآية ٤٠، والآية ٨٠ من السورة تحوى معجزة علوم لم يفطن لها العالم إلا في العصر الأخير، أما الثمانية المتتابعة فتعلن لنا.

١) أنه تعالى يخلق النبات – وفيه حياة – من الأرض التي ليس لها روح.

٢) ويفجر منها العيون والجنات التى يحيا بها الناس.

٣) أنه سبحانه خلق – ويخلق – من كل شيء زوجين سواء النبات أو الإنسان أو مما لا يعلم الناس من أشياء. (٤) وأن الظلام في الكون أصل وأن النهار ينسلخ منه. (٥) وأن الشمس تجرى في فلكها. (٦) وأن القمر يجرى في منازل شتى حول الأرض ومعها وحول الشمس. (٧) وأنه تعالى قدر لكل حرم فلكه. (٨) وفي الآية ٨٠ يعلن أن الشجر الأخضر – وحده – هو الذى تشتعل فيه النار.. وهذه الآيات الكريمة لا تزيد عن محتويات صفحة واحدة؟!! وفيها معجزات بالعشرات عن الأكوان من أرضين وسموات وشمس وقمر!! ومن الماء كل شيء حى، وفي الإنسان مالا حصر له من معجزات.

ويستمر تعداد المعجزات الفلكية والجيولوجية وما إليها ويضيق المقام من عرضها واحدة واحدة.

وسترى الطبيب الفرنسى بوكاى يستأنف بحوثاً أكثرها في حدودها ذاتها.

وكان الإمام محمد عبده - كما فصل الدكتور الغمراوى - يؤكد حقيقة (الجاذبية الكونية) في تفسير الجاذبية العامة حيث قوله - تعالى - عن السماء إنه رفعها (بغير عمد ترونها) وما هى إلا جاذبية النجوم والكواكب في العالم.

ونبه الغمراوى على أن بالقرآن (٨٠٠) ثمانمائة آية يتوقف على فهمها تيسير الدعوة إلى دين الله في هذا العصر كحديث البصمة التى لاتتكرر في البشر.

ثم يتطرق إلى باب تال يعقده (للجبال في القرآن) فهذه عشرات من الآيات تحتوى على معجزات، ومنها امتداد الأرض، ومنها وتدية الجبال وإرساؤها، والجبال من قاع المحيط ومن تحته والجبال في حركة الأرض، وفي فصل تال يتكلم عن حقائق السماء في القرآن.

وفي كل سماء (تسبح) أجرام السماء وينتقل إلى الظواهر الجوية في القرآن: من سحاب، ومطر، وكهرباء الهواء وشحناتها، والبرق والرعد، والصواعق وتلقيح الرياح وعملها في حدوث المطر.

وينتقل إلى النبات والحياة في النبات، وفي الحيوان، وعن أصل الخضرة في الشجر لحدوث النار، ويشير إلى الآية ٨٠ من سورة يس.

وفي فصل تال يتكلم عن القمر الصناعى ومخترعات العصور التى تتدرج جميعا تحت نصوص الله في كتابه، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾[١٦].

---

(١٦) سورة الأنعام ، الآية ٣٨

ثالثاً: الطبيب الفرنسى بوكاى:

أولاً: للطبيب الفرنسى كتابان عظيما الشأن باللغة الفرنسية في هذا المضمار.

أولهما بعنوان: (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة)، واسمه الفرنسى (الكتاب المقدس والقرآن والعلم) ١٩٧٦م، سلك فيه مسلك الغمراوى في تفسير (أيام الله) كمراحل (لخلق الكون) وقد اعتمد على نص القرآن على أن من أيام الله ما يقدر بخمسين ألف سنة وبهذا تصبح الأيام الستة ٣٠٠ الف سنة وبه يصح تفسير انشقاق السموات والأرض وظهور المخلوقات من نبات وحيوان وإنسان. كما تناولت أبحاث بوكاى.

١- خلق الإنسان. ٢- أن العالم يتسع ويتمدد.

٣- أن الكون كروى دوار.

٤- أن وحداته منجذبة إلى ماتدور حوله بنظام لا يحتمل أي خلل.

٥- أن الشمس تجرى لمستقر لها، والقمر يجرى في فلكه حول الأرض، وأن الأرض كرة تدور حول نفسها وحول الشمس، ومن ذلك النور والظلام، وأن الظلام هو الأصل.

٦- أن الجاذبية الفلكية والأرضية تحكم الصلات بين الأفلاك وبين الأشياء بغير عمد يراها الناس.

٧- أن الزوجية قائمة في كل شيء كحقيقة كونية - من الذرة إلى المجرة - الإنسان والحيوان والنبات، وفيما لا نعلم من الأشياء.

٨- أن سنن الله مطلقة، من اتبعها ظفر، ومن خالفها خسر، وهى سنن تجعل كل شيء في موضعه من موازين الله، لا يملك أحد لها تبديلا.

٩- أن الماء ضرورة للحياة.

١٠- أن نسبة الماء على وجه الأرض ضرورة للتوازن، ولإحداث دورة

الماء العذب الذى تحتاج إليه الحياة.

١١- للجبال والمحيطات والرياح والأنهار والبحار أدوار أساسية في تطويع العناصر لتيسير الحياة وضبط المسار.

١٢- غزو الفضاء. ١٣- أصل الحياة. ١٤- النبات.

ثانيهما: كتاب بعنوان: ما أصل الإنسان؟ وعمر الحياة الإنسانية (التناسل الإنسانى في القرآن)[١٧].

وتُرجم الكتاب الأول من الفرنسية إلى الإنجليزية والعربية والتركية والفارسية والصربوكرواتية والأندونيسية والأردية والكرواتية، وطبع حتى ١٩٨٥ م اثنتى عشرة طبعة.

وأعقب هذا الكتاب بكتاب (ما أصل الإنسان؟).

ناقش في الفصل الثالث منه إجابة الكتب المقدسة (التوراة والإنجيل).

وناقش في الفصل الرابع (أصل الإنسان والتحولات التى طرأت عليه وتناسله وفقاً للقرآن).

وقال في تقديمه لكتابه هذا: (إن ما جاء بالقرآن عن بيان أصل الإنسان سوف يثير دهشة كثير من الناس تماما كما أدهشنى أنا أيضاً حين اكتشفته أول مرة، وفوق ذلك فإن مقارنة النصوص القرآنية والتوراتية والإنجيلية تكشف عن ذلك بسورة أوضح، فكلاهما يتحدث عن الله الخالق، إلا أن التفصيلات التى أوردتها التوراة في وصف الخلق - وهى غير مقبولة علميا - لا وجود لها في القرآن، أما القرآن فيحتوى حقا على آيات بينات عن خلق الإنسان تدعو إلى العجب وإعمال العقل، ويستحيل تفسير هذه المعلومات بالمنطق البشرى إذا وضعنا في اعتبارنا مستوى المعارف التى كانت سائدة وقت نزول

(١٧) ترجمة مكتب التربية العربى لدول الخليج

القرآن، أما بالنسبة للغرب فلم يسبق له أن تناول هذه الآيات البينات التناول العلمى حتى التاسع من نوفمبر ١٩٧٦م وذلك حين قدمت إلى الأكاديمية الطبية الوطنية الفرنسية بحثاً عن المعطيات في كل من علم وظائف الأعضاء، وعلم الأجنة التى عرض لها القرآن منذ ١٤ قرناً سبقت الاكتشافات العلمية الحديثة[١٨]....).

وقال في خواتيم الكتاب تحت عنوان (تطور الكائنات الحية حالة خاصة داخل التطور العام للكون)[١٩].

(وقد كيف قساوسة المعبد المقدس المفهوم البدائى للخلق مع أغراضهم الخاصة عند كتابة النسخة الكهنوتية في القرن السادس قبل الميلاد، فنمقوا قصصهم بتفاصيل ثبت فيما بعد زيفها وخرافيتها.. وقد وصل القرآن إلى الإنسان في القرن السابع بعد الميلاد، وهو يشير إلى خلق العالم وظهور الإنسان على الأرض.. فلا توجد في القرآن الأخطاء الموجودة في التوراة، فهو يقدم معلومات معينة تعتبر اليوم مفاجأة لأناس كثيرين في الغرب).

وفي ص ١٣٦ من كتاب: (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة) طبعة دار المعارف لبنان ينبىء الدكتور بوكاى القارئ نبأ (وثيقة صادرة عن سكرتارية الفاتيكان لشئون غير المسيحيين) توجيهات لإقامة حوار بين المسيحيين والمسلمين في الطبعة الثالثة لها عام ١٩٧٠ فيها ما يلى:

"علينا أن نهتم أولا بأن نغير تدريجياً من عقلية إخواتنا المسيحيين، فذلك قبل كل شيء.".

"ويجب التخلى عن الصورة البالية التى ورثنا الماضى إياها، وشوهتها الفريات والأحكام المسبقة".

---

(١٨) ص ٢١

(١٩) ص ٢٢٩ - ٢٣٠

"كما يجب الاعتراف بالمظالم التى ارتكبها الغرب المسيحى في حق المسلمين".

وفي ص ١٤٠ يذكر أن الإسلام "إلى جانب أنه يدعو إلى المواظبة على الاشتغال بالعلم فإنه يحتوى أيضاً على تأملات عديدة خاصة بالظاهرات الطبيعية، وبتفاصيل توضيحية تتفق تماما مع معطيات العلم الحديث".

ويقول في الصفحة ١٤٤ : (لقد أثارت هذه الجوانب العلمية التى يختص بها القرآن دهشتى العميقة في البداية، فلم أكن أعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحد من الدعاوى الخاصة بموضوعات شديدة التنوع، ومطابقة تماماً للمعارف العلمية الحديثة).

ثم يقول في ص ١٤٤: (وسأظل مديناً بالعرفان - وبشكل لا حد له - للمغفور له جلالة الملك فيصل[٢٠] الذى أحيى ذكره باحترام عميق سيظل

---

(٢٠) كان الملك فيصل بن عبد العزيز ١٣٨٣ الى ١٣٩٥هـ/١٩٦٤-١٩٧٥م عالما ورجل سياسة في أعلى درجة، قرأ القرآن على جده لأمه قاضى قضاة نجد عبد الله بن حسن حفيد الإمام محمد بن عبد الوهاب وحيى حياة زاهدة لا طاقة بها للملوك فكان رجل عالمين عالم الدنيا، وعالم الدين، وإليه يرجع الفضل فيما بلغته المملكة، وكان عونا على النهضة المعاصرة للجامعات بالمملكة، وبالصناعات والزراعات، وتعليم المرأة، وجالد الأمم الأوربية بجالدة رجل نُتج في السياسة، وكان من قواد أبيه، مدة حكمه، وفي يده حادت السماء على المملكة بكشوف بترولية هائلة.

والشهادة للملك من الدكتور بوكاى تذكرنا بأنه كان عليما بما أوجده الدكتور الغمراوى في مصر ثم في المملكة من علوم القرآن، وكان كبار العلماء في الفقه من علماء الأزهر والسياسة من الدول العربية في حاشية الملك، وما يزالون مستشارين للمملكة، منهم الدكتور الدواليبى من أساتذة الشريعة الإسلامية، وهو رئيس سابق للدولة في سوريا، وأستاذ سابق للشريعة الإسلامية في جامعة دمشق وهو الآن عضو بمجمع الفقه الإسلامي بجدة وكان أحد القطبين في مؤتمر الفقه الإسلامي بباريس سنة=

=١٩٥١ كما سيرد ذكره بالباب الرابع في بحث الربا.

واستقراء نصوص القرآن وتفسيرها في عمل الدكتور الغمراوى حصاد حياة بتمامها، في بيئة قرآنية يقول عنها د./ الكردانى جامع كتابه (حفظ القرآن كله بمدينة (زفتى) ليلتحق بالأزهر الشريف مثل إخوته كان الرابع بين (إخوة خمسة) ولكن خاله رأى أن يكون أحد الأبناء طالبا للعلوم الحديثة.. والتحقنا بالقسم العلمى بمدرسة المعلمين العليا، وتخرجنا منها عام ١٩١٤م.

كان يعيش أثناء دراسته بالقاهرة بين إخوته الذين التحقوا بالأزهر الشريف..

عمل مدرسا بالمدارس الثانوية للجمعية الخيرية الإسلامية.. حتى كان عام ١٩١٦ فسمح له بالسفر للتخصص في الكيمياء والطبيعية.. وكنت معه حريصين على الذهاب إلى جامع (ووكنج) إحدى ضواحى لندن حيث تقام صلاة العيد في مسجدها، وفي لندن تقابلنا مع مولاى (محمد على الهندى) أول من ترجم القرآن، ومع الإنجليزى المسلم مارماديوك بكتول الذى ترجم معانى القرآن وحضر إلى القاهرة قبل طبع الترجمة ليراجعها مع صديقه المرحوم الأستاذ الغمراوى، ولما عاد (الغمراوى) من إنجلترا عمل فترة في التدريس، إلى أن اختير "أستاذا للكيمياء" بكلية الصيدلة وكان قدوة حسنة في خلقه وتدينه لزملائه وطلابه إلى أن أحيل إلى المعاش، وفي عام ١٩٦٠ دعى إلى السعودية فأسس كلية الصيدلة بجامعة الرياض، وظل يعمل بها أستاذا وعميدا لمدة ثلاث سنوات.

وعلى الرغم من مسئولياته العلمية فإن ذلك لم يشغله عن متابعة البحث في علوم القرآن من لغة وتفسير، وظل اتصاله بإخوانه وأصدقائه الأزهريين الذين كان تقديرهم له عظيما وظل هذا الاتصال وطيدا حتى نال ثقة المغفور له الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى (شيخ الأزهر).

وظل اتصاله وطيدا بصفة خالصة بالبحوث القرآنية، ومن ثم عهدت إليه إدارة الأزهر الشريف بالتدريس في كلية أصول الدين، واستمر يدرس بها في عهديها القديم والحديث (قبل ١٩٦١ وبعدها).

وطبعت له لجنة التأليف والترجمة بعض محاضراته فيها بعنوان "في سنن الله الكونية" وفي السنوات الأخيرة كان يدرس لطلبة الدراسات العليا بنفس الكلية). =

محفوراً في ذاكرتي دائما أن كان لي الشرف الرفيع أن أستمع إليه يتحدث عن الإسلام، وأن أذكر في حضرته بعض مشاكل تفسير القرآن في ارتباطها مع العلم الحديث، أن كوني تلقيت من جلالته نفسه معلومات قيمة، ومن حاشيته يشكل لي امتيازاً خاصاً).

ويقول: (وعندما استطعت قياس المسافة التي تفصل واقع الإسلام عن الصورة التي أختلقناها عنه في بلادنا الغربية شعرت بالحاجة الملحة لتعلم اللغة العربية التي لم أكن أعرفها، ذلك حتى أكون قادرا على التقدم في دراسة هذا الدين الذي يجهله الكثيرون، كان هدفي الأول هو قراءة القرآن ودراسة نصه جملة بجملة مستعينا بمختلف التعليقات اللازمة للدراسة النقدية. وتناولت القرآن منتبها بشكل خاص إلى الوصف الذي يعطيه عن حشد من الظاهرات الطبيعية. لقد أذهلتني دقة بعض التفاصيل الخاصة بهذه الظاهرات وهي تفاصيل لا تدرك إلا في النص الأصلي. أذهلتني مطابقتها للمفاهيم التي نملكها اليوم عن نقس هذه الظاهرات والتي لم يكن ممكنا لأي إنسان في عصر محمد ﷺ أن يكون عنها أي فكرة، ولقد قرأت إثر ذلك مؤلفات كثيرة خصصها

= وقد حفلت المجلات الإسلامية وبخاصة مجلة الأزهر بمقالاته الممتعة في هذا الصدد، ومنها تلك السلاسل التي كتبها تحت عنوان "دلالة القرآن على نفسه أنه من عند الله" "والسماء في القرآن وفي العلم"، "والجبال في القرآن"، كما أن مذكراته للطلبة التي دونوها بالآلة الكاتبة في كراستين، واحدة بعنوان "إسلاميات" والأخرى بعنوان "سنن كونية في غاية الإبداع".

هذا وقول د. بوكاى عما تلقاه من الملك فيصل وحاشيته من معلومات قيمة وإنه قرأ في إثر ذلك مؤلفات كثيرة خصصها كتاب مسلمون للجوانب العلمية في القرآن" يشير بوضوح إلى أنه قرأ الكثير من بحوث الدكتور الغمراوى ومادرسه في كلية أصول الدين بالأزهر.

كتاب مسلمون للجوانب العلمية في نص القرآن.

إن أول ما يثير الدهشة في روح من يواجه مثل هذا النص لأول مرة هو ثراء الموضوعات المعالجة، فهناك الخلق، وعلم الفلك وعرض لبعض الموضوعات الخاصة بالأرض وعالم الحيوان وعالم النبات والتناسل الإنسانى..)

ويقول في ص ١٤٨ – ١٤٩: (وسيجد القارئ بالتفصيل في نهاية هذا الجزء الثالث من الكتاب نتائج مقارنة التوراة بروايات القرآن فيما يتعلق بحدث واحد، وقد خضع الكل للنقد العلمى، وعلى سبيل المثال فقد تم اختيارى مسألتى (الخلق والطوفان) واتضح بالنسبة لكل منهما عدم اتفاق العلم مع أقوال التوراة. ولكنا سنرى اتفاقاً كاملاً بين أقوال القرآن الخاصة بنفس المسائل وبين العلم الحديث).

وفي ص ٤٧ وما بعدها يتكلم عن خلق الإنسان تحت عنوان (تاريخ خلق العالم وتاريخ ظهور الإنسان على الأرض)، يتكلم عن التقدير العبرى فيقول بعد بحث طويل (النقل: إن خلق العالم بحسب هذا التقدير العبرى يحدد بسبعة وثلاثين قرناً قبل الميلاد) ثم يبلور الاعتراض العلمى بقوله: ماذا يعلمنا العلم الحديث؟ ويجيب (إن كل ما يمكن ترقيمه هو عصر تكوين النظام الشمسى الذى يمكن تحديده زمنياً .. بقدر الزمن الذى يفصلنا عن تكوين النظام بأربع مليارات ونصف من السنوات ..) ويقول (مع ذلك فيمكن أن نؤكد وجود أطلال الإنسانية مفكرة وعاملة، ويحسب قدمها بوحدات تتكون من عشرات آلاف من السنين).

ويعود للموضوع في كتابه: (ما أصل الإنسان) فيقول ص ١٦٩ – ١٧١ عن التقويم اليهودى: أنه (قائم على أن خلق الكون والإنسان تم في أسبوع واحد) ويقول: تم تقدير عمر الأرض بحوالى ٤,٥ مليون سنة فيما يتعلق بأول

ظهور للإنسان الأول على الأرض فعلينا أن نتذكر ببساطة أنه منذ حوالى ٤٠ ألف سنة مضت كان بالفعل إنسان يشبه الإنسان الحالى).

وجلى لنا بحثه في الكتاب الأول تعدد السموات، وتعدد الكواكب، والنظام الشمسى والمجرات، ومفهوم تعدد العوالم والمواد الكونية المنتشرة من النجوم، ومقابلة ذلك مع المعطيات القرآنية عن الخلق، وعلم الفلك في القرآن.

وتحت عنوان: (تأملات عما في السماء) أورد آيات بنيان السماء وخلق السماء بغير عمد نراها، وحركة الشمس والقمر دائبين – الضياء والنور من الشمس، والنور من القمر.

وفي خصوص (الأرض) أورد الآيات ذات المرمى العام، وأورد الآيات الخاصة عن دور المياه والبحار والجبال والرياح اللواقح، والماء العذب، وتفجير العيون والجنات والزروع والتوافق بين الآيات والعلم الحديث، وتحدث عن التركيب المعقد للأرض وتضاريسها، وعن الجو الأرضى، والارتفاع في السماء، والكهرباء الجوية، والظل وعالم النبات.

وتحت عنوان: (أصل الحياة) يذكر آيات الزوجية في النبات والحيوان والإنسان.

وتحت عنوان: (التوازن في عالم النبات) يورد الآيات الخاصة بكل موضوع من تناسل النبات من كل زوج كريم، وتلقيحها، ثم تأملات في النحل والعناكب والطيور، وآية تكوين لبن الحيوان (من بين فرث ودم) ثم تكلم عن التناسل الإنسانى والمعجزات في آياته.

هكذا يشتمل الكتاب الأول على عشرات المسائل من أمهات العلم وكلها تقطع بأن بعض علم الله في القرآن هو الذى اكتشفه علماء أوروبة في العصور الأخيرة، في حين يقتصر الكتاب الثانى على تحقيق مسألة واحدة منها هى (أصل الإنسان) وفيه مقارنة جديدة بين نظرات كل من التوراة

والإنجيل ثم القرآن.

وربما أجزأ في تبيين مكانته العلمية إشراك الإكاديمية الطبية الوطنية الفرنسية فيما وصل إليه (في كل من علم وظائف الأعضاء، وعلم الأجنة التى عرض لها القرآن منذ نحو أربعة عشر قرناً سبقت الاكتشافات العلمية الحديثة) على ما عبرت مقدمة الكتاب، وفيها قوله:

(... إن ما جاء به القرآن من بيان عن أصل الإنسان سوف يثير دهشة كثير من الناس لا ريب.. أما القرآن فيحتوى – حقا – على آيات بينات عن خلق الإنسان).

وفي الكتاب الأول خلص بوكاى في نهاية كتابه إلى قوله[٢١] (إن القرآن – وقد استأنف التنزيلين اللذين سبقاه – لا يخلو – فقط – من متناقضات الرواية...) وقوله عن القرآن الكريم.

(طابعه الخاص – هو التوافق التام من المعطيات العلمية الحديثة – بل اكثر من ذلك – وكما أثبتنا – يكتشف القارئ مقولات ذات طابع علمى من المستحيل تصور أن إنسانا في عصر محمد قد استطاع أن يؤلفها، وعلى هذا فالمعارف العلمية الحديثة تسمح بفهم بعض الآيات القرآنية التى كانت بلا تفسير صحيح حتى الآن).

(إن مقارنة عديد من روايات التوراة مع روايات نفس الموضوعات في القرآن تبرز الفروق الأساسية بين دعاوى التوراة غير المقبولة علميا وبين مقولات القرآن التى تتوافق تماما مع المعطيات الحديثة).

ثم يقول في ختام هذا الكتاب:

(لذا فمن المشروع تماما أن ينظر في القرآن على أنه تعبير الوحى من

---

(٢١) ص ٢٨٥

الله، وأن يعطى له مكانة خاصة جدا حيث إن صحته أمر لا يمكن الشك فيه، وحيث إن احتواءه على المعطيات العلمية المدروسة في عصرنا تبدو كأنها تتحدى أي تفسير وضعي)[٢٢].

رابعاً: خلق الإنسان في كتاب الدكتور الطبيب محمد على البار:

ينقل الدكتور قول الفقيه الحافظ ابن حجر العسقلانى (٨٥٢هـ) في أواخر القرن الخامس عشر للميلاد: (زعم كثير من أهل التشريح – الأطباء من أهل أوربة –: إن منى الرجل لا أثر له في الولد إلا في عقده، وأنه يتكون من دم الحيض)، وهذه نظرية أرسطو تسيطر على أهل أوربة من ألفى عام. ثم يقول ابن حجر (واحاديث الباب – سنن الرسول، ﷺ – تبطل ذلك)، فأحاديث الرسول تعلن أن الولد يخلق من نطفة الرجل ونطفة المرأة، والله – تعالى – يقول: ﴿**إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج**﴾[٢٣] أى مخلطة من ماء الرجل وماء المرأة.

ولم تدرك أوروبة هذه الحقيقة إلا في عام ١٩١٢م عندما ثبت في علم الوراثة أن الصفات الموروثة تنتقل عبر الحيوان المنوى من الرجل والبويضة من المرأة.

والتعبير الإلهى عن خلق الإنسان يظهر مباشرة بعد خلق السموات والأرض حيث يقول – سبحانه – في سورة النحل: ﴿**خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون**﴾ ويتبعها بآية: ﴿**خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين**﴾[٢٤].

---

(٢٢) ص ٢٨٦

(٢٣) سورة الإنسان ، الآية ٣

(٢٤) سورة النحل ، الآيتان ٣، ٤

وليس خلق الإنسان من التراب ثم من النطفة أمورا أقل في الدلالة على جلال خالق السموات والأرض، وكل هذا بدرجاته ومراحل الحياة فيه أدركه العلم من أوائل القرن الحالى، وما يزال يستكمل فهم إبداعات السموات في شكل العلقة إذ تعلق ببويضة الأنثى، والمضغة التى تنتقل إلى أن تكون جنينا، وأن العظام تسبق اللحم في التكوين، وأن مصدر الخلق نطفة الرجل.. النص القرآنى صريح: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً، ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾[٢٥].

وما يزال العلم القرآنى عن تكوين الجنين في نحو ٤٠ آية قرآنية مؤيدا بكل كشف جديد.

ومن قوله – تعالى – ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾[٢٦] ينتفى عن الإنسانية مصدر القردة الذى يزعمه بعض أهل الغرب.

والفقه الإسلامي يكذب ما تزعمه أوربة نقلا عن أرسطو أكثر من نحو ألفى عام أن منى الذكر لا دخل له في تكوين الجنين.

والوصف الوارد في الآيات القرآنية ينطبق أدق انطباق على ما يثبته علم الأجنة الآن، وهو معجزة مستمرة ينتقل لأجلها الأطباء إلى الإسلام الآن.

خامساً: أستاذ الفلك بجامعة القاهرة:

كان الأفذاذ السابقون في الطب والصيدلة والطبيعة بحاجة إلى متخصص في الفلك، وأتاحت جامعة القاهرة هذه الفرصة على يد الدكتور/ محمد جمال الدين الفندى .. مد الله في عمره.

---

(٢٥) سورة المومنون ، الآيات ١٢ – ١٤

(٢٦) سورة التين ، الآية ٥

نبه أمره في الأربعينات من القرن الحالى حتى منحه ملك إنجلترا وسام الأمبراطورية البريطانية في العلوم من الطبقة الممتازة سنة ١٩٤٦ ثم رد على إنجلترا الوسام احتجاجاً على غزوها مصر سنة ١٩٥٦م.

وهو حاصل على جائزة فؤاد الأول للعلوم سنة ١٩٥٠م، وعضو في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، سلك مسلك الفلك في إثبات دلالة ذلك العلم على وحدانية الخالق، وعظمة ملكوته، وما يزال وافر العطاء، له في ذلك نيف وعشرون كتاباً تشرح الآيات القرآنية منذ الخمسينات من هذا القرن وأسهم في كتاب (مقدمة تاريخ العلوم عند العرب) وله تحقيق (زيج ابن يونس) بمركز إحياء التراث، وهو صاحب كتاب (البيرونى) الصادر سنة ١٩٦٨م، ومن بحوثه ما دار حول الأقمار الصناعية، وأجرام السماء، وقصة الفيزياء (الطبيعية) والصعود إلى المريخ، وعجائب الأرض والسماء، وله طلائع في المسلسلات الثقافية عن المريخ والفضاء الكونى، وغزو الفضاء والغلاف الهوائى.

ومن كتبه (القرآن والعلم) سنة ١٩٦٨م و(الكون بين الدين والعلم) و(روائع الإعجاز في القرآن الكريم)، و(الله والكون)، و(الإسلام وقوانين الوجود).

إليك أمثالاً نختارها من كتابه (القرآن والعلم) سنة ١٩٦٨، والباب الخامس فيه يبدأ بالطبيعة الجوية.

والباب السادس عن الطبيعة الأرضية... وفي الباب السابع علم الفلك في القرآن وأعمال الرياح والأمطار، وحقيقة تناقص الضغط الجوى مع الارتفاع.

١- فيبدأ بهذه الآية: ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا

تسعاً﴾[٢٧] التى تحول ٣٠٠ سنة شمسية إلى سنين قمرية فتجعلها ٣٠٩، ويجرى الحساب، وينتهى إلى أن عدد الزيادة (يعادله ٩ سنوات كاملات).

٢- ثم آية: ﴿والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون﴾[٢٨] فهى تشير إلى بناء الكون المرئى.. بما فيه من ملايين المجرات التى تمثل وحدات الكون العظمى.. كل ذلك إلى جانب ما يعج به الفضاء من طاقات وإشعاعات يضاف إليه قوله: (وإنا لموسعون) إذ يتسع لكل المجرات مهما تباعدت، ولم يثبت حجم الكون على حال منذ قاس العلماء أبعاده.

٣- ثم قوله: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾[٢٩]، فمواقع النجوم شيء جدير بأن يقسم به الخالق، وأقرب نجم إلينا داخل مجرتنا يبعد عنا بمسافة تقدر بعدد من السنين الضوئية، وعندما نخرج إلى خضم الفضاء الفسيح نجد أقرب المجرات إلينا تبعد عنا بعدة مئات الآلاف من السنين الضوئية.

في التعليق على قوله تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾[٣٠] يقول: إن ﴿السلطان﴾ هنا هو العلم.

ويقول عن الذرة في الآيات المتعددة: إنها أصغر الأشياء. ثم يقول عن قوله - تعالى -: ﴿ولا أصغر من ذلك ولا أكبر﴾[٣١] فهذا يدل على انقسام

---

(٢٧) سورة الكهف ، الآية ٢٥

(٢٨) سورة الذاريات ، الآية ٤٧

(٢٩) سورة الواقعة ، الآيتان ٧٥ ، ٧٦

(٣٠) سورة الرحمن ، الآية ٣٣

(٣١) سورة يونس ، الآية ٦١، وسورة سبأ ، الآية ٣

الذرة إلى أصغر، وهو ما لم يعرف إلا أخيراً.

وفي باب (القرآن وعلوم الحياة).

يتكلم عن الولادة، ويتكلم عن (البصمة) التى تختلف في خلق الله جميعا في آيتى سورة القيامة ٣، ٤، ثم إلى الآية ٥٦ من سورة النساء حيث تختص الآية الجلد بالإحساس الأشد بالألم، ثم ينتقل إلى الآية ٦٩ من سورة النحل، ومعجزات الشفاء فيما تخرجه.

ثم ينتقل إلى باب تاسع فثمة معجزات في سورة هود، ثم معجزات في الماء والهواء والرياح والبراكين، ثم إلى النجوم تحفر أنفاقها في قوله - تعالى-: ﴿النجم الثاقب﴾[٣٢] ثم الى بروج السماء في سورة البروج: وسورة الحجر: ١٦ ليعلمنا أن البروج مجموعات من النجوم تزين السماء.

والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر يتابع طبع مؤلفاته بالإنجليزية والعربية.

المبحث الرابع:

الإسلام دين السماحة والسلام لكل العالم

يقول عليه الصلاة والسلام: "الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان".

ويقول: "إذا لم تستح فاصنع ما شئت".

ولما جعل الرسول إماطة الأذى عن (الطريق) أدنى شعب الإيمان بين لنا أن حدود مسئولية المسلم تترامى إلى كل ما يصلح به مجتمعه، وأن طريق ذلك واسع، لكل امرئ فيه ما يقدر على القيام به.

---

(٣٢) سورة الطارق ، الآية ٣

وفي اتقاء الشبهات قال - عليه الصلاة والسلام-: "لا يبلغ الرجل درجة المتقين حتى يدع مالا بأس به حذرا لما به البأس".

وفي ذلك قول القائل: (إنى لأجعل بينى وبين الحرام سترة ولا أحرمها).

وفي تعريف الإيمان تتجلى سماحة الإسلام فهو "تصديق بالقلب وإقرار باللسان بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله".

وفي ذلك يدخل العمل الصالح.

ولا يخرج من الإيمان من يرتكب الإثم إذا تاب توبة نصوحا، وقد يغفر الله له: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[٣٣] وما دامت المغفرة مرجوة فلا (تكفير) لمن قل عمله أو كثر خطؤه.

وبهذا السلام الداخلى للإنسان وللعالم كله كان الإسلام دين السلام، وتعايشت فيه كل الأديان بالحكمة والموعظة الحسنة، أي بالدعوة "المفطورة على السماحة".

ذلك واضح من قوله - جل ثناؤه -: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ر به والمؤمنون كل آمن با لله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ر بنا وإليك المصير﴾[٣٤]، والسمع والطاعة هما التنفيذ الرضى من الفرد والجماعة وهو تعالى يقول: ﴿ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً﴾[٣٥].

وهو القائل - تبارك وتعالى -: ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾[٣٦]

---

(٣٣) سورة النساء ، الآية ٤٨

(٣٤) سورة البقرة ، الآية ٢٨٥

(٣٥) سورة الزمر ، الآية ٢٩

(٣٦) سورة يونس ، الآية ٢٥

و﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾[٣٧].

وينهى عن تأويل السلام والريبة فيه إذا صدر من الآخرين بقوله: ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً﴾[٣٨].

ولما أذن الله للمسلمين بالحرب أذن بها للدفاع عن النفس وفرض عليهم الاستجابة لطلب السلام فقال: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾[٣٩].

والسلام صفة الله – تعالى – واسمه: ﴿هو الملك القدوس السلام﴾[٤٠] وهو تحية الإسلام وفيه ابتدار بالأمان، والإنسان جدير به حيثما كان: في نفسه، وفي زوجه وبنيه ومخالطيه، وفي وطنه، فذلك قوله – تعالى –: ﴿ياأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾[٤١] وقوله: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم﴾[٤٢].

ومن السماحة المثلى يعترف الإسلام بالديانتين اللتين جاءتا قبله وإن كانتا لا تعترفان به.

وبالعفو والصفح يتدفق التراث الإسلامي من عمل النبي والخلفاء حتى اليوم في معاملات المسلمين للدول التي لا تعرف السلام ولا العفو ولا الصفح، بل تخون العهد وتنقض الصلح.

---

(٣٧) سورة الأحزاب ، الآية ٤٤

(٣٨) سورة النساء ، الآية ٩٤

(٣٩) سورة الانفال ، الآية ٦١

(٤٠) سورة الحشر ، الآية ٢٣

(٤١) سورة البقرة ، الآية ٢٠٨

(٤٢) سورة الشعراء ، الآيتان ٨٨ ، ٨٩

كان أول عمل سياسى لرسول الله – عليه الصلاة والسلام – إذ دخل المدينة توقيع (معاهدة السلام) مع اليهود وغيرهم وفي العام السادس للهجرة عقد الصلح مع المشركين عند الحديبية.

وفي إبان عودة الجيش أنزل الله عليه سورة الفتح كاملة، واستفتحها بقوله عن هذا الصلح ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾[٤٣]، فهو (فتح بالصلح وبالسلام) للعرب وللعالم وقد أتبعه الرسول بدعوة ملوك العالم للإسلام.

وكانت رسائله إليهم تبدأ بقوله: (سلم أنت).

وفي إبان عقد صلح الحديبية سمع الرسول رجلاً يقول عن الصلح: (ما هذا بفتح، لقد صددنا عن البيت الحرام، وصد هدينا) فقال – ﷺ –: "بئس الكلام بل هو "أعظم الفتح"، قد رضى المشركون أن يدفعوكم بالراح – جمع راحة اليد – عن بلادهم، ويسألوكم القضية، ويرغبوا إليكم في الأمان، ولقد رأوا منكم ما كرهوا وأظفركم الله عليهم، وردكم سالمين، وردكم مأجورين، وهو أعظم الفتح".

وتتابعت ردود الملوك على الدعوات بالدخول في الإسلام، إلا بعضا، واستجابت له أممهم بعد أعوام في فارس والشام وآسيا الصغرى ومصر لينتشر في العالم ويدين به ربع سكانه.

وكان أبو بكر يقول: (ما كان فتح في الإسلام أعظم من صلح الحديبية، والعباد يعجلون، والله لا يعجل لعجلة العبد، حتى يبلغ الأمر ما أراده).

والإمام الزهرى يشرح ذلك بقوله في أواخر القرن الأول: (أمن الناس بعضهم بعضا وكلم بعضهم بعضا، وتفاوضوا في الحديث والمنازعة، ولم يُكلم أحد يعقل شيئا بالإسلام إلا بادر بالدخول فيه).

---

(٤٣) سورة الفتح ، الآية ١

وابن هشام يقول في أول القرن الثالث: (خرج رسول الله إلى الحديبية في ١٤٠٠ وخرج إلى مكة بعد سنتين في عشرة آلاف أمنوا مكة ولم يحاربوها).

والله تعالى يقول: ﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾[٤٤].

ولقد حصل التاريخ الماضى للحضارتين الأوربية والإسلامية الإمام محمد عبده (١٩٠٥) في كلمات معلمة: (حمل الغرب على الشرق حملة واحدة، لم يبق ملك من ملوكه، أو شعب من شعوبه إلا اشترك فيها أكثر من مائتى سنة.. وجدوا حرية في دين "وعلماً وشرعاً وصنعة" مع كمال اليقين.. وتعلمت "دول أوروبة" أن حرية الفكر وسعة العلم من وسائل الإيمان، ثم جمعت ما شاء الله من الآداب، وانطلقت به قريرة العين.. ولم يكن بعد ذلك إلا قليل من الزمن حتى ظهرت طائفة منهم تدعو إلى الإصلاح بما لم يبعد عن الإسلام إلا قليلاً..)

وإنما قصد دعوات مارتن لوثر ١٥٤٦م وقد حوكم، كمحاكمة زونجلى ١٥٢١م من قبله ثم كالفن ١٥٦٤م من بعده، ثم كان قيام حرب الأعوام الثلاثين وانتهاؤها ١٦٤٨م ليأخذ البروتستانت حقهم في نصف أوروبة، وينتقل بعضهم إلى أمريكا، وتفقد الكنيسة سيطرتها على الشعوب.

كذلك ينقل لنا الإمام محمد عبده قول الفيلسوف الأوربى (ماكس نوردو) عن قومه: (إن الناس كانوا - وما زالوا - يطلبون الحق، ولم يكونوا في زمان أبعد عنه منهم في هذا الزمان.. إنك لو طرقت أي باب تسأل: هل مرت السعادة بهذا البيت؟ لأجابك مجيب: إذا شئت فاطرق باباً آخر، فإن السعادة لم تمر ببيتنا..) ويقول محمد عبده ذلك بعد أن ذكر حال الأمم الأوربية جميعها.

---

(٤٤) سورة النحل ، الآية ١٢٥

أما الإسلام فدين السكينة والطمأنينة، والعزة مسلمة به: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾[٤٥].

والدكتور السنهورى من كبار أستاذة القانون المدنى الذى نقل إلى بلدان المسليمن من أوروبة يعنى أوروبة المعاصرة بقوله: (الإسلام قوى لا تهضمه الجنسية ولا الاستعمار ويحاول الغربيون أن يحولوا الإسلام إلى مجرد عقيدة ليسهل تفريق الأمة الإسلامية، وهضم ما استمرأوه منها).

والله تعالى لا يخلف وعده بنصرة دينه ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً﴾[٤٦].

وبهذا اليقين كان الرجل الواحد في سرية مؤته يقاتل مائة! فالمسلمون ثلاثة آلاف يقاتلون ثلاثمائة ألف! ويرجعون سالمين معهم غنائمهم إلا أحد عشر من الشهداء منهم أمراء الجيش الثلاثة!!

* * * * * * * * * * *

وفي مستقبل حضارة الإسلام قول الكاتب الأمريكى جورج سارتون: (لقد سبق للعرب أن فاقوا العالم في مرحلتين طويلتين من مراحل التقدم طوال ألفى سنة قبل أيام اليونان ثم في العصور الأخيرة مدة أربعة قرون، وليس ثمة ما يمنع هذه الشعوب من أن يقودوا العالم في المستقبل القريب أو البعيد).

وهو يعنى الحضارة المصرية من قبل التاريخ الميلادى بالآف الأعوام، كما يعنى قروناً عظيمة في تاريخ العالم سبقت النهضة الأوربية، ويعنى أن العلوم العربية كانت – ومازالت – فاتحة عصر التنوير هنالك.

---

(٤٥) سورة المنافقون ، الآية ٨

(٤٦) سورة الفتح ، الآية ٢٨